ألواح ألبارتيني ودلالاتها الاقتصادية خلال القرن الخامس الميلادي

✍ الأستاذ العود محمد الصالح
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ
جامعة عبد الحميد مهري -
قسنطينة 2

الملخص:

عرف المغرب القديم خلال نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس ميلاديين تغييرات كبيرة في شتى المجالات،كان ابرزها المجال الاقتصادي .فبعد تحسن الاحوال الاقتصادية لسكان المغرب القديم خلال الفترة الوندالية،اعاد البيزنطيون الوضع الى ماكان عليه في نهاية الفترة الرومانية، بل يمكن ان نقول ان الاحوال الاقتصادية خلال الفترة البيزنطية كانت اسوأ حالا مما سبق .

وهذا ما تثبته الكثير من الشواهد الاثرية مثل ألواح ألبرتيني المكتشفة في مدينة تبسة والعديد من التقارير الاثرية البحرية.

Résumé:

l'ancien Maghreb durant la fin du quatrième siècle et le début du Ve siècle AD savaitdes changements importants dans divers domaines، notamment le domaine économique .Aprésl'amélioration de les conditions économiques des habitants de l'ancien Maghreb durant la période vandale, Les byzantins rétabli la situation telle qu'elle était à la fin de la période roumaine، mais nous pouvons dire que les conditions économiques au cours de la période byzantine était pire que jamais. Ceci est prouvé par les nombreux vestiges

archéologiques découverts les tablettes d'Albertini tels découvertes dans la ville de Tebessa et de nombreux rapports marins archéologiques.

الكلمات المفتاحية: المغاربة، الوندال، البيزنطيون، الاقتصاد، تبسة، ألواح، ألبرتيني، جونثاموند، كوانتيوس، فورتنيس، كولولياني، بيوبوريوس

مقدمة:

يعتبر القرنان الخامس والسادس الميلاديين اللذان يشكلان الفترة المتأخرة من التاريخ القديم يعدان من بين المراحل والمحطات الهامة في تاريخ المغرب القديم لأن هذه الفترة تشكل مرحلة انتقال ما بين حقبة التاريخ القديم والتاريخ الوسيط. لكن رغم أهميتها البالغة لم تحظ بالاهتمام الكافي من طرف الباحثين سواء الأوروبيين أو المغاربة، ويعود ذلك إلى العديد من أسباب لعل أهمها بعدها عن مجال اهتمام الأوروبيين لأنها تشكل مرحلة صنعت في تاريخهم والتنقيب عنها لا يخدم توجهاتهم السياسية، أما بالنسبة للمؤرخين المغاربة فيعود تقصيرهم إلى نقص المصادر وشح اللقى الأثرية التي تساعد على فك رموز العديد من القضايا التاريخية والسياسية.

وإذا كان الحظ أوفر بالنسبة للمجالين السياسية والعسكري اللذين أخذا الاهتمام ولو القليل من البحث وإثارة بعض القضايا والإشكاليات الهامة غير الجانب الاقتصادي لا يزال غامضاً ويحتوي على العديد من الإشكاليات الهامة، وهذا ما دفعني إلى إثارة الوضع الاقتصادي في بلاد المغرب القديم خلال هذه الحقبة المتأخرة من التاريخ القديم مستعيناً ببعض اللقى الأثرية وعلى رأسها ألواح ألبارتيني.

التعريف بألواح ألبارتيني:

اكتشفت ألواح ألبارتيني من طرف السكان ببلدية تبسة المختلطة أثناء العهد الاستعماري الفرنسي على بعد 100 كم تقريباً بجهة الجنوب، اعتقد السكان أثناء اكتشافها بأنهم وجدوا كنزاً ثميناً داخل جرار ذات وضعية مقلوبة أفواهها في الأسفل وقاعدتها في الأعلى، لهذا اضطروا إلى تكسيرها بغية إخراج ما فيها من كنوز، ولكن بعدما وجدوها تحتوي على مجرد ألواح سلموها للسلطات الفرنسية عن طريق مسؤولي بلدية تبسة بعد عدة أشهر من اكتشافها في 21 سبتمبر 1928.

والجدول التالي يوضح الجانب التقني للألواح

مكان الاكتشاف	**في نقطة تقاطع بعدها الأول 100 كم جنوب تبسة والثاني 65 كم غرب قفصة التونسية**
نوعها	**53 لوحة تشكل بيع عقود وشراء**
نوع الخشب	**استعملت من أشجار الصفصاف واللوز التي جلبت من غابات الأوراس**
شكلها	**منها المربعة الشكل، لكن أغلبها يأخذ الشكل المستطيل. أكبرها طولاً 26 سم وأكبرها عرضاً 4،10 سم سمكها حوالي 1 سم.**
مادة الكتابة	**الحبر ذو اللون الأسود الذي يميل إلى اللون البني المصنوع من الصوف المحروق أو من مادة الخروب اليابس.**

نموذجان من ألواح ألبارتيني

اللوحة الأولى:



لوحة متعلقة ببيع قطعة أرضية وحقل من التين سنة 493م

Tablette 4a :

(PL. IV)

magula a meridie et a marino quintus a coro I[atere-] tis et bergentisque suis it(em) alio in loco s(upra)s(cri)p(to) fici arbor u[na] qui coheret ad bia de buresa ab africo cum lateretis et aquaris bergentisque suis it(em) alio in loco locus qui dicitur pullatis in quo sunt olibe arb(ores) cinq [ue inter] adfines eiusdem loci ab oriente quintianus a meridie quintianus ab africo et a coro uictorinus nug[ualis] it(em) alio in loco in pullatis locus abiente olibe arb(ores) cin-que inter adfines eiusdem loci ab oriente processa-nus a meridie uictorinus ab occidente paternus [ia] deris a coro iannarius ques eosdem agros ss(u)p(ra)scri(ptos) de quo agitur hac die emerut geminius cresco-nius et cresconia iugalis eius a iulio leporio et co[ia] iugalis eius et etiam silbanianus et uictorinus auri solidum unum et f(ol)l(e)s [aur]e[os] obrediacos.

ترجمة اللوحة:

لقد تم في هذا اليوم بيع حقل من التين بالنقد الإفريقي بين السيد "مارينو كوانتيوس" (Marino Quintus) وجاره "دوبرجنتيس" (Debergentis).

هذا الحقل متواجد بمحاذاة الطريق، ومتبوع بحوض للسقي، إضافة إلى أرض مائلة.

كما أنه تم بيع حقل آخر في مكان شرقي للسيد بولتيس (Pullatis)، ويحتوي هذا الحقل على خمسة أشجار زيتون، وتم بيعه بالعملة الإفريقية.

إضافة إلى حقل آخر بيع للسيد "فيكتورينيس نانغراليست" (Victorinis Nungralist) مع خمس شجيرات زيتون.

كما تم بيع حقول بالجهة الوسطى والجنوبية للمالكين فيكتورنيس وباترونوس (Victornus – Paternus) لجارهما.

هذه الحقول الموصوفة والمذكورة أعلاه تم شراؤها من كل المالكين ثم شراؤها من قبل السيد والسيدة بيوبوريوس وكولوليانيس (Bioborius – Cololianis) بالنقد الذهبي والبرونزي.

اللوحة الثانية:



لوحة متعلقة ببيع عبد شاب بتاريخ 5 جوان 494م

Tablette 2b :

(PI.. II)

anno decimo dom(ini) reg(is) ginttqbundi sub die nonqs isuniqs bendedimus donatianus uictoris et saturninus cibes cappra-rianensium puerum unum nomine fortinis coloris candidum annorum circiter plus minus sex non erroneum neque malis m-oribus costitutum neque caducum quem ab eis emit felix fortu-tuni

cibis tuletianensis auri solidum unum et fol(les) septingentos au-reos obbrediacos ponderi plenos numero semis quod solidu-m unum et fol(les) septingentos s (upra) s (cri) pp (ti) donatianus et sturninus ben-ditores in se susceperunt presentibus suscribturis et secum sus-tulerunt nicil quesibimus ex edem pretio quiquam amplius de-ueri respondiderunt a pridie quam benderent abuerunt possrderunt iu [risque eorum fuerunt et ex] hac [die in nomine] geminius felix [؟].

ترجمة اللوحة:

في السنة الثانية الموالية لحكم الملك جونتاموند، وفي شهر جوان قمنا أنا دوناتيانوس (Donatianus) ابن فكتور وساتورنين (Victor et Saturnin) ببيع عبد شاب يدعى فورتنيس (Fortinis) أبيض البشرة ويبلغ من العمر ست سنوات، وهو لا متشرد ولا لقيط ولا يحمل أية صفات بذيئة، كما أنه غير مريض ويتميز بصحة جيدة.

هذا العبد اشتراه فيليكس (Felix) ابن فورتون (Fortuna)، وهو مواطن من قبيلة طولاد (Tolede) بفلس من الذهب و70 قرشاً من البرونز.

لقد تم استلام النقود من الباعة وأخذوا نقودهم في جيوبهم أمام الحاضرين، كما أنهم لم يعترضوا على أي شيء.

الأوضاع الاقتصادية قبيل الحقبة الوندالية:

تفاقمت الأزمة الاقتصادية في بلاد المغرب القديم وذلك ابتداءً من أواخر القرن الثاني الميلادي[1]. فالزراعة تحولت من إنتاج القمح إلى الاهتمام بالتشجير كالزيتون والكروم والتين[2]، أما الصناعة فقد كانت خاصة بالطبقة الفقيرة واقتصرت على صناعة الفخار، وخاصة الجرار التي كانت أحد وسائل النقل لمختلف المنتوجات الزراعية أهمها الزيت والتين والخمور[3]، وصناعة البناء التي اقتصرت على القلاع والمراكز العسكرية[4]. وثالث هذه الصناعات هي إنتاج زيت الزيتون الذي كان ينتج في معاصر عديدة ومنتشرة في كافة بلاد المغرب[5]، غير أن المستفيد الأول من هذه المادة هو العنصر الروماني، أما التجارة فقد كانت فيها الصادرات تفوق الواردات بشكل واسع[6].

هذا ما يجعلنا نستخلص بأن الحالة الاقتصادية للمغاربة قبيل مجيء الوندال كانت مزرية حيث تفشى الفقر وانتشر الجوع وتدنى مستوى المعيشة بشكل عام.

لكن كيف تعامل الوندال مع هذا الموروث الاقتصادي؟ وهل تغيرت الأوضاع الاقتصادية للمغاربة؟

الأوضاع الاقتصادية ببلاد المغرب القديم خلال الحقبة الوندالية:

إذا عدنا لألواح ألبارتيني يمكن أن نستنتج العديد من القضايا الاقتصادية:

1- أمدتنا هذه اللقى الأثرية بصورة واضحة عن الجانب الفلاحي خلال الفترة الوندالية الذي لم يكن متردياً، فإلى جانب القمح والشعير الذي كانا يغطيان الاستهلاك المحلي كانت هناك زراعة الزيتون والكروم وغيرهما من الأشجار المثمرة كالتين واللوز[7].

2- انتشار فلاحة الزيتون التي تعد مادة خام لإنتاج الزيت الذي كان يلعب دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية؛ حيث يذكر فيكتور دي فيتا أن الزيت يعد الغذاء اليومي للفرد المغاربي الذي لا يمكن الاستغناء عنه[8].

3- أكدت الألواح بأنه فيما بين الفترة الممتدة بين 493-496م غرست العديد من أشجار الزيتون والعنب والتين[9].

4- لم يهمل الأهالي خلال الحقبة الوندالية تربية المواشي خاصة الخيول التي استعملت في المواصلات والحروب إلى جانب تربية البغال والجمال التي تستعمل في حمل البضائع والثيران التي كان لها دور هام في المجال الزراعي لأنها كانت الأدوات الأساسية في عملية حرث الأرض ودرس المنتوج الزراعي.

5- بينت كذلك هذه الألواح ارتباط الأرض بمصادرها المائية من آبار وقنوات الري، ونقيشة الأبيقاس[10] تمكننا من معرفة أهمية تقنية الري بالنسبة للمغاربة لأنها تصف بنا وصفاً دقيقاً لعملية توزيع المياه واستغلالها في ري الأراضي الزراعية.

6- رغم تذبذب الإنتاج الفلاحي في بعض من المراحل نتيجة الضطرابات السياسية والطبيعية وظهور مجاعات مثل ما حدث سنة 484م والتي أدت إلى الزحف نحو الشمال[11]، ولكنها لم تكن هذه المرة الأولى التي ظهرت فيها المجاعة بل كانت قد ظهرت أيضاً قبل ذلك سنة 430م أثناء حصار هيبون من طرف الملك جنسريق[12].

لم تكن ألواح ألبارتيني الشواهد المادية الوحيدة التي تزودنا بالمعلومات الاقتصادية خلال هذه الحقبة، بل يوجد كذلك العديد من التقارير الأثرية حول مختلف المواقع الأثرية التي تنتشر في المناطق الداخلية أو الساحلية فضلاً عن التقارير الأثرية البحرية التي تناولت دراسة العديد من السفن الغارقة في عمق البحر الأبيض المتوسط. ولقد أثرت كذلك هذه البحوث الأثرية بالعديد منت النتائج أهمها ما يلي:

1- اكتشاف العديد من النماذج الفخارية في كثير من مناطق المغرب القديم والتي كانت أغلبيتها موجهة للسوق المحلية[13].

2- اشتهرت بلاد المغرب بصناعة الأواني الفخارية، وكانت مدينة تيديس بناحية كيرتا من أهم المراكز لهذه الصناعة[14].

3- تغير حجم الجرار الفخارية خاصة الموجهة للتصدير فأصبحت ذات أحجام أقل كانت تنقل فيها زيت الزيتون والتين المجفف والأسماك المملحة.

4- استطاع العديد من المغاربة عقد العديد من الصفقات التجارية مع العديد من الشعوب الجرمانية في أقصى الشمال عن طريق غالة وإيطاليا[15].

5- كان التعامل التجاري خلال هذه الفترة يعتمد على النقود لذلك وجب التطرق لسك العملة الوندالية.

إذن يمكن للباحث أن يستنتج أن سكان بلاد المغرب القديم كان وضعهم الاقتصادي أحسن مما كان عليه في أواخر عهد الإمبراطورية الرومانية؛ حيث كانت المنتوجات ذات النوعية الجيدة توجه للاستهلاك المحلي أما الأقل جودة فهي التي توجه للتصدير، ضف إلى ذلك توقفت التموينات الموجهة إلى روما كضرائب وهذا ما ساعد على تحسن الوضع المعيشي لسكان المغاربة. ومهما يكن فإن ارتباط اسم الوندال بالخراب والدمار والوحشية كان بسبب تأثيرات الكنيسة ورجال الدين المعادين للوندال الأريوسيين، وندرك هذا خاصة إذا علمنا أن أغلبية المصادر الأساسية لتاريخ الوندال هي كتابات غربية سيطر عليها رجال الدين وأصحاب الأيديولوجيات السياسية.

خلاصة:

دراسة المرحلة التاريخية المنحصرة بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين جد هامة في دراسات التاريخ القديم، ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها:

إن هذه الفترة تشكل مرحلة انتقال بين فترة التاريخ القديم والوسيط. وبُعد هذه الفترة عن اهتمامات الدراسات الأوروبية لأن التنقيب عنها لا يخدم توجهاتهم السياسية.

كما أن هذه الفترة جد شحيحة من حيث اللقى الأثرية التي تساعد على فك رموز العديد من القضايا التاريخية.

والدارس لملف القضايا الاقتصادية خلال هذه الفترة لا يجد بحوزته سوى ألواح ألبارتيني التي تقدم إشارات واضحة تتمحور كلها حول الوضع الاقتصادي في بلاد المغرب القديم، والتي بينت أن الحالة الاقتصادية خلال الفترة الوندالية كانت أفضل بكثير مما كانت عليه خلال الحقبة المتأخرة من حكم الإمبراطورية الرومانية.

الهوامش:

(1)- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ت. محمد مزالي والبشير سلامة، ج1، تونس، 1985، ص ص.270-271.

(2)- Martin (J.-P.)، Recherche sur les agronomes latins et leurs conceptions économiques et sociales، Paris، 1971، p.255.

(3)- خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ (العصور القديمة)، ج1، تونس، 2007، ص.205.

(4)- Martin (J.-P.)، Op. Cit.، p.255.

(5)- Camps Faber (H.)، L'olivier et l'huile dans l'Afrique، éd. Imrimerie officielle، Alger، 1953، pp.25-31.

(6)- Salama (P.)، Les voies romaines de l'Afrique du nord، éd. Imprimerie officielle، Alger، 1951، p.42.

(7)- Courtois (Ch.), Les Vandales et l'Afrique، éd. Arts et métiers graphiques، Paris، 1955, p.316.

(8)- Victor de Vita، Historia persecutions vandalicae، Monumonta Germanicae Historica، Auctores Antiquissimi، T.III، I، Berlin، 1879.

(9)- Albertini (E.)، Tablettes d'Albertini، Actes privés de l'époque vandale، Arts et métiers graphiques، Paris، 1952، pp.215-230.

(10)- نقيشة الأبيقاس: أو ما يعرف بالأبيقاص عن بروكوب. ويقصد بذلك طريقة الزراعة وعملية الري التي أوردها في نص أثناء حديثه عن المعارك التي جمعت القائد البيزنطي بيليزاريوس مع الأمير يابداس بمنطقة الأوراس.

(11)- Courtois (Ch.)، Op. Cit.، p.317.

(12)- Ibid., p.319.

(13)- Slim (L.)، Bonifay (M.)، « L'usine de salaison de neopolis (Nabeul), Premiers résultats des fouilles 1995-1998 », Africa XVII, 1999, pp.153-197.

(14)- Levi (F.)، Tchernia (A.)، Amplore d'Afrique proconsulaire au Bas-empire، In Ant. Afr. T.III، 1969، pp.173-197.

(15)- Victor de Vita، III، 41.